تفريغ المجلس التاسع عشر من مجالس شرح "رياض الصالحين" للحافظ النووي –رحمه الله تعالى–

قال الشيخ محمود الشيخ –حفظه الله–:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا أيها الإخوة –بارك الله فيكم– المجلس التاسع عشر من مجالس شرح "رياض الصالحين" للحافظ النووي –رحمه الله تعالى–، واليوم معنا الباب الثاني عشر، **باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر.**

قال المؤلف –رحمه الله–: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]) هذا باب حقيقة مهم جدا، وأنا أقول دائما أن أبواب هذا الكتاب كلها مهمة، كلما تقرأ بابا بأهميته، وعندما نقرأ هذا الباب الذي بين أيدينا فلا شك أنه باب عظيم؛ فإن الإنسان له حد وينتهي، له عمر سيصل إلى نهايته، فلا بد أن يكون كيسا فطنا، ويعلم أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، ويعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، الجنة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، والنار كذلك، قال النبي ﷺ: "**فاتقوا النار ولو بشق تمرة**" إذا أطال الله بعمرك فاحمد الله أن الفرصة لا زالت قائمة، واحذر أن الحجة عليك قائمة، أمدك الله بعمرك، لماذا؟ لتتذكر لعلك تعود فتستغفر وتستعتب، تراجع نفسك، ترجع إلى الله –سبحانه تعالى–.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ ﴿أولم نعمركم﴾ عمرا: ما: هذه نكرة كما قال الشيخ العثيمين "موصوفة": أي: كأنك تقول عمرا، أولم نعمركم عمرا، هذا العمر الذي عمركم

الله إياه ليتذكر فيه من يتذكر، اختلف العلماء في هذا العمر قيل: ستين سنة، وقيل: ثماني عشر سنة، وقيل: أربعين، ولكن العمر حقيقة ليس هو المقصود التحديد، إنما أنه أطال في عمرك لتتذكر، وأن تحسِن خاتمتك.

(قَالَ ابن عباس والمُحَقِّقُونَ) ابن عباس: ترجمان القرآن، دعا له النبي ﷺ: **"اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"**، التأويل هنا بمعنى التفسير، ويأتي التأويل بمعنى: ما تؤول إليه حقائق الأمور، كما قال يوسف لأبويه لما سجدا له، وسجد له إخوته، قال: ﴿يا أبتِ هذا تأويل رؤياي﴾ أي: هذا حقيقة ما آلت إليه رؤيتي، هذا معنى آخر للتأويل، ويأتي التأويل بمعنى آخر: صرف اللفظ عن ظاهرة لقرينة، ويقابله التحريف: صرف اللفظ عن ظاهره لغير حقيقة؛ لذلك يسمى الأشاعرة بالمحرفة؛ لأنهم صرفوا ألفاظ القرآن الكريم التي فيها صفات الله عن ظاهرها، فقالوا: "استوى بمعنى استولى"، ولا يوجد قرينة بهذا، إنما الهوى الذي يسمى العقل عندهم، فهم محرِّفة وإن سموا أنفسهم مؤولة، لماذا يسمون أنفسهم مأوّلة؟ لأنهم صرفوا اللفظ عن ظاهره، لكن التأويل أن تصرف اللفظ عن ظاهره لقرينة، ما هي قرينتكم الشرعية؟ نحن نقول: إن الله استوى على العرش كما قال [الله]، وهذا ما قاله الإمام مالك: "الاستواء معلوم" كيف استوى؟ الله أعلم، "الكيف غير معقول" لماذا نقول استوى ونؤمن بذلك؟ "والإيمان به واجب"؛ لأن الله قال في سبع مواضع في كتابه، والأحاديث كثيرة، وإجماع أهل السنة عليه لماذا؟ لا يجوز أن نسأل عن كيف استوى؛ لأن الصحابة لم يسألوا، عرفوا أنه استوى؛ لأنه أخبرهم عبر نبيه أنه استوى ولم يخبرهم كيف استوى، ولا يوجد لنا مصدر معلومة إلا من خلاله -سبحانه تعالى-، فهو الذي قال لنا: ﴿استوى﴾، ولم يقل لنا كيف استوى، فنقول أنه استوى تصديقا، ولا نسأل كيف استوى؛ لأن الأمر ليس بيدنا ﴿ولا يحيطون به علما﴾، ﴿لا تدركه الأبصار﴾ هكذا، الأشاعرة غيروا وصرفوا اللفظ عن ظاهره، أين القرينة؟ لا يوجد، قالوا:

"استوى بمعنى استولى" يقال لهم: الاستيلاء هو أن يكون الشيء ليس عندك فاستوليت عليه، فهذا لازم باطل، أن الملك لم يكن من قبل مع الله -سبحانه تعالى-، ملك العرش فاستولى عليه، وأتيتم واحتججتم ببيت شعر لأحد المتأخرين الذين لا يحتج بشعرهم إن وجد ذلك فهذا باطل، فكلمة استوى إذا عديت بعلى = استوى على، لا يأتي معناها إلا: علا وارتفع، وقال بعض العلماء: تأتي بمعنى استقر، هذه في اللغة، ولا يوجد معنى استوى بمعنى استولى لا من قريب ولا من بعيد، ولا من لغة عربية صحيحة؛ لذلك هذا تحريف وليس تأويلا.

(قَالَ ابن عباس والمُحَقِّقُونَ: معناه أَو لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً؟ وَيُؤَيِّدُهُ الحديث الَّذِي سنذْكُرُهُ إِنْ شاء الله تَعَالَى، وقيل: معناه ثماني عَشْرَة سَنَةً، وقيل: أَرْبَعِينَ سَنَةً، قاله الحسن والكلبي ومسروق) الحسن البصري -رحمه الله تعالى-، والكلبي له تفسير ويضعفه العلماء في تفسيره، ومسروق هذا تلميذ حُذَيفة، وأظن كذلك كان عند ابن مسعود فيما أذكر.

قال: (ونُقل عن ابن عباس أيضا) أي: قول الأربعين سنة، لكن حقيقة ما هو العمر ليس المقصود تحديد العمر، فجاءت الآية عامة في كل عمر يطول ﴿ليتذكر فيه من تذكر﴾.

قال: ﴿وجاءكم النذير﴾ النذير: أي: النبي ﷺ، وقيل: غير ذلك كما سنذكر.

قال المؤلف: (وَنَقَلُوا أَنَّ أَهْلَ المدينَةِ كانوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أربعينَ سَنَةً تَفَرَّغَ للعِبادَةِ) لذلك مطلوب من الإنسان حقيقة كلما زاد عمره أن تزيد عبادته، أن يتفرغ لطاعة ربه، حسبك من هذه الدنيا لقيمات يقمن صلبك كما قال النبي ﷺ: **"حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه"**، لا تفرح كثيرا بطول العمر وقلة العمل كما سنذكر في حديث ذكره الشيخ العثيمين، وهذا الحديث ضعيف إنما أخرجه الطبراني في الأوسط: **"كان**

من دعاء النبي ﷺ: اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي الجنة"، وهناك حديث آخر سنذكره بعد قليل –إن شاء الله تعالى– .

قال: (وقيل: هو البلوغ) لا زال يتكلم المؤلف عن العمر أي: طول العمر، إذا بلغ الإنسان، أو إذا وصل الثمانية عشر، أو إذا وصل أربعين أو ستين، القضية ليست متعلقة بمدة معينة، متعلقة بطول العمر، لا يعني ذلك أن الشباب يركنون إلى الدنيا، ولا يتفرغون للعبادة، بل لا يعرف الإنسان متى تأتيه منيته، لذلك عليه أن يتفرغ دائما للعبادة، وأن يعيش في الدنيا كأنه مسافر، أو عابر سبيل استظل تحت ظل شجرة ثم قام فتركها، غريب عن هذه الدنيا، في أي وقت يرحل، كيف الدنيا ؟ عش كأنك تموت غدا تكاد أن ترحل، هذا هو حال الإنسان لا ينتظر طول العمر، لربما لا يؤجل له، ولا يصل إلى أعمار أمة النبي ﷺ في متوسطها الستين أو السبعين، ولكن حري بكل من طال عمره سواء بلغ، أو صار ثمانية عشر عاما، أو أربعين عاما أو ستين عاما، حري به أن يتذكر بماذا ؟ بأن يعود إلى الله ويتفرغ العبادة لربه –سبحانه تعالى– .

قال: (وقوله تَعَالَى: ﴿وجَاءكُمُ النَّذِيرُ﴾ قَالَ ابن عباس والجمهور: هُوَ النَّبيّ ﷺ) قال الشيخ عثيمين "وهو الصواب"، قال: "فالصحيح أن المراد بالنذير النبي، وهو اسم جنس يشمل رسول الله ﷺ، ويشمل الرسل الذين من قبله كلهم نذر –عليهم الصلاة والسلام–"

قال المؤلف: (وقيل: الشيب) ﴿وجاءكم النذير﴾ أي: الشيب الذي على رؤوسكم ينذركم باقتراب الأجل، وهذا إن صح ذلك ولا يبعد أن هذا نذير، وإن كان الجمهور –وعلى رأسهم ابن عباس– على أن النبي ﷺ نذيرنا في أمتنا ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ ولكن يدخل في النذير الشيب والمرض، أما قول الشيب (قاله عِكْرِمَةُ، وابن عُيَيْنَة وغيرهما . والله أعلم) .

قال المؤلف –رحمه الله– في الأحاديث، قال:

(وأما الأحاديث:)

فالأول: 112– عن أبي هريرةَ – رضي الله عنه – عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أجلهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً» . رواه البخاري.

قَالَ العلماء: معناه لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذرًا إِذْ أَمْهَلَهُ هذِهِ المُدَّةَ. يقال: أَعْذَرَ الرجُلُ إِذَا بَلَغَ الغايَةَ فِي العُذْرِ.

ليس لك حجة أيها الإنسان إذا طال عمرك ليس لك حجة على الله، لا من قبل ولا من بعد، ولكن إذا طال عمرك فمن باب أولى.

(أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ) أي: أقام عليه الحجة، ونفى عنه العذر، بلغ الغاية في العذر، لم يترك له عذرا إذ أمهله طويلا حتى عمّر، لا تقل مات شابا ولو أنه تأخر لقدم، هذا قد أُمهل، فلا عذر له وإن كان لو مات شابا فلا عذر له من قبل، ومن هنا لو مات قبل البلوغ لما حوسب، القلم مرفوع عنه؛ لأن الله لا يترك عذرا، أما إذا بلغ فقد أقيمت عليك الحجة ،لا سيما إذا طال عمره، وكان يعيش في بلاد المسلمين، والعلماء متوافرون، فهذه الحجة قائمة من باب أولى، هذا فيه تحذير شديد، يا ابن آدم أحسن عملك، واحذر من طول العمر كما جاء **"خيركم من طال عمره وحسن عمله"** وشركم من؟ **"من طال عمره وساء عمله"**.

الحديث الذي بعده (الثاني)، وهو الثالث عشر بعد المئة:

(عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ عمر – رضي الله عنه – يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدرٍ فكأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نفسِهِ) عمر أمير المؤمنين، كان يدني أناسا آخرين، ولكن ليس من باب القرابة أو الجاه والسلطان والمال، لا، لا أبدا، كان يدنيهم لدينهم ولعلمهم، ليس الأمر متعلقا بأعمارهم، فكان يجلس ابن

عباس وهو صغير مع أشياخ بدر الذين شاركوا في بدر، حتى كان ذلك يجعل شيئًا في أنفسهم، قد وجدوا في أنفسهم على عمر، حتى سألوه لماذا تجلس ابن عباس معنا ولا تجلس أبناءنا .

قال: (فَقَالَ: لِمَ) أي: هذا قول الأشياخ من بدر، سواء كانوا من المهاجرين أو كانوا من الأنصار، وقد ذكر الشيخ العثيمين في بداية الدرس أنه من الأنصار، لعله أكثر أشياخ بدر الذين عمروا بعد النبي ﷺ من الأنصار، فالشيخ العثيمين محقق أو ذكر الشيخ العثيمين على الغالب أن ذلك كان في المدينة، فصاروا من الأنصار على كل حال.

(فقال) أي: هؤلاء الناس (لِمَ يَدْخُلُ هَذَا معنا ولَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ ! فَقَالَ عُمَرُ) لعلهم قالوا هذا الكلام أمامه، أو لعله بلغه عنهم.

(إِنَّهُ مِنْ حَيثُ عَلِمْتُمْ ! فَدعانِي ذاتَ يَومٍ فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ) يعني: أنه من حيث علمتم من علمه، وقد كان النبي ﷺ قد دعا له، فكان متفقها في دينه، أنه من حيث علمتم هذا ليس كآحاد الناس.

قال: (فدعاني ذات يوم) حتى يطفئ النار في قلوب أولئك القوم، ويقيم عليهم الحجة حتى يعرفوا، ولا يبقى شيء في أنفسهم.

قال: (فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ فما رَأَيتُ أَنَّهُ دعاني يَومَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ) طبعا ليس من باب أن يقهرهم، فقط من باب أن يزول الشيء الذي في نفوسهم؛ لأن أولئك الناس أشياخ بدر أناس مقربون حتى عند الله -سبحانه وتعالى-، قد غفر لهم.

قال: (قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قولِ اللهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ ؟ [الفتح: ١] فَقَالَ بعضهم:) طبعا هذه السورة التي نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ (أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نَصَرَنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا) قال ذلك بعضهم في فتح مكة أخذوها على الظاهر، ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فتح مكة ﴿ورأيت

الناس﴾ يا محمد ﴿يدخلون في دين الله أفواجا﴾ فالزم التسبيح والاستغفار، هذا الظاهر، لكن هناك مغزى آخر في الآية، فطن له ابن عباس.

قال: (وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيئًا . فَقَالَ لِي: أَكَذلِكَ تقُول يَا ابنَ عباسٍ؟) أهذا القول الذي قالوه قولك؟ هذا ما تشير إليه الآية؟

(فقلت: لا . قَالَ: فما تقول؟ قُلْتُ: هُوَ أجل رَسُول الله ﷺ أعلَمَهُ لَهُ) أي: أعلمه الله أن هذه الآية اقتراب أجلك يا محمد، علامتها ماذا؟ فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا، بعد ذلك اقترب الأجل يا محمد، ما علاقة ذلك بالباب؟ إذا اقترب الأجل الزم طاعة ربك، من حمده واستغفاره والتوبة إليه سبحانه من باب العمل.

قال: (هُوَ أجل رَسُول الله ﷺ أعلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك) أي: علامة الأجل فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا، إذا جاءت هذه العلامة وتحققت قال: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾) هذه الآية (فَقَالَ عمر –رضي الله عنه–: مَا أعلم مِنْهَا إِلَّا مَا تقول) كان عمر يعلم أن هذا تفسيرها، ولكن أراد أن يريهم أن ابن عباس أعلمهم.

(رواه البخاري).

الحديث (الثالث)، وهو الرابع عشر بعد المئة:

عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: مَا صلّى رَسُول الله ﷺ صلاةً بَعْدَ أَنْ نزَلتْ عَلَيهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلّا يقول فِيهَا: «سُبحَانَكَ رَبّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللّهُمّ اغْفِرْ لِي» . مُتّفَقٌ عَلَيهِ.

إذن: كان النبي ﷺ قد التزم ما أمر به، إذا تحققت العلامة الآية من فتح مكة فالزم هذا التسبيح والاستغفار والتوبة، فكان النبي ﷺ يفعل ذلك في كل صلاته، جاءت في رواية: **"في ركوعه وسجوده"**، وهذا فيه دليل على أنه يجوز أن تقول في الركوع والسجود: **"سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"**، جاء في رواية: **"كان النبي ﷺ يتأول القرآن"**، فسره بهذا وتأوله بهذا، فكان يفعله في ركوعه وسجوده وصلاته.

قال: (وفي رواية في الصحيحين عنها: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يقُولَ فِي رُكُوعِه وسُجُودِه: «سُبْحَانَكَ اللّهُمّ رَبّنَا وَبِحَمدِكَ، اللّهُمّ اغْفِرْ لِي»،

يَتَأَوّلُ القُرآنَ. معنى: «يَتَأَوّلُ القُرآنَ» أي يعمل مَا أُمِرَ بِهِ فِي القرآن فِي قوله تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ .

وهذا مطلوب منا أن نتأول القرآن، الآيات ليست لمجرد القراءة، ليس من أجل أن نباري ونبارز بها الناس، فلان حافظ، ابني ما أجمل صوته، القرآن الكريم للتدبر ولفهم معانيه، ولتأول معانيه، بأن تعمل ما فيه، فإذا جاءت آيات الحرام حرَّمت، وإذا جاءك آيات حلال حللت، وإذا مرت آية تسبيح سبحت، وغير ذلك من تأويل القرآن بالعمل به، تأخذ بحلاله وحرامه، وبجميع أحكامه، ولا ترد شيئًا منه هذا هو المطلوب.

قال: (وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبلَ أَنْ يَمُوتَ:

«سُبحَانَكَ اللّهُمّ وَبِحَمدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» . قَالَتْ عائشة: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، مَا هذِهِ الكَلِماتُ الّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا ؟) أحدثتها بعد أن لم تكن تقولها، أو تحدثها أو تفعلها من قبل، ومن هنا المحدثة: وهو الجديد **"مَن أحدث في أمرنا"** أي: من جاء بشيء لم يكن من قبل، أي: عليه دليل من كتاب أو سنة.

(قال) اي النبي ﷺ ردا على عائشة (قَالَ: "جُعِلَتْ لِي عَلامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيتُها قُلتُها ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ . . . إِلَى آخِرِ السورة".

وفي رواية لَهُ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ مِنْ قَولِ: «سبْحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ أَسْتَغفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، أَرَاكَ تُكثِرُ مِنْ قَولِ سُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إِلَيْه؟ فَقَالَ: «أَخبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي فإذا رَأَيتُها أَكْثَرْتُ مِنْ قَولِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْه فَقَدْ رَأَيتُهَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكّة، ﴿وَرَأَيتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾». الشاهد من هذه الأحاديث أنك: أطع ربك، طال عمرك لم يبق لك شيء، لا تسوف إلى الغد لربما تموت، لربما تأخر، لكن المطلوب منك أن تتذكر وتعود إلى الله –سبحانه جل في علاه–، وهذا شاهد الباب.

الحديث (الرابع)، الخامس عشر بعد المئة:

عن أنس – رضي الله عنه – قَالَ: إِنَّ اللهَ – عز وجل – تَابَعَ الوَحيَ عَلَى رسولِ اللهِ – ﷺ – قَبلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

زاد عمل النبي ﷺ في آخر عمره بزيادة نزول الوحي إليه، فصار يكثر الوحي من التتابع، فكثر ما على النبي ﷺ من العبادات والاجتهادات.

الحديث الذي بعده، (الخامس)، وهو السادس عشر بعد المئة:

عن جابر – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ».

لماذا ؟ حديث النبي ﷺ: **"إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب"** أي: أنه ليس من أهل الجنة، وهذا في علم الله معلوم، ففي آخر عمره، قال: **"فيعمل بعمل أهل**

النار" ثم يموت على ذلك، قال: **"فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"** لماذا؟ الأعمال بالخواتيم، ولا تتألى على الله فيما حولك، دخل رجل النار من بني إسرائيل كان يأتي إلى رجل وقد تجاوز الحد في المعاصي والذنوب، كان يأتيه وهو عابد ينصحه، لكن كان عنده كِبر، وتألى على الله، يأتي له، يا فلان أقصر، أي: أقصر من شَرِّك، من معاصيك وذنوبك، الزم حدك، يأتيه في اليوم الثاني: يا فلان أقصر حتى مل هذا المقصر المتجاوز لحدوده، مل من طريقة هذا الرجل فقال له: "خلني بيني وبين ربي" لا تتدخل، هذا غضب، والظاهر أنه غضب لنفسه ولم يغضب لله، ثم تألى على الله، أقسم قال: **"والله لا يغفر الله لك"** من أدراك، من أدارك أنه لا يغفر له، غضب الله منه، يقول الله في هذا الحديث: **"من ذا الذي يتألى علي، إعلم أنني غفرت له، وأحبطت عملك"** نعم غفر له وأحبط عمله، لا تعرف حال هذا الذي أمامك، لربما في حال أحسن ويموت على طاعة ربه، وكم وجدنا من أناس هذا حالهم، أنت عليك أن تقول كلمة الحق، وأن تدعو بصدق، وأن تدعو لله، ولا تدعو لنفسك، بعلم وحكمة، ﴿جادلهم بالتي هي أحسن﴾، عليك أن تكون عندك الحكمة والموعظة الحسنة ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ فإن أخذ منك فالحمد لله، وإن رد كلامك فقد أديت ما عليك، قل كلمة الحق وامض كما قال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-، هذا المطلوب منك، لربما في آخر عمره يتحسن حاله ويتوب إلى ربه، لعله سر بينه وبين الله ما يدريك، والله يعلم من هو الشقي ومن هو السعيد، جاء في حديث آخر: **"إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة"** قد يكون مرائيا، أو يعمل بعمل أهل النار؛ لذلك جاء في حديث ذلك الرجل الذي شارك في غزوة من غزوات النبي ﷺ، وما ترك شاذة ولا فاذة إلا وقد تبعها، يقاتل مع النبي ﷺ، ويقول النبي ﷺ: **"فلان في النار"** استغرب بعض الصحابة، أحد الصحابة قال: كيف؟ هذا رجل شجاع قوي، قال: سألزمه، فصار يلحق وينظر، قال: ما ترك شاذة ولا

فاذة، أثخنته الجراح، لم يتحمل في آخر الليل، أو في آخر النهار بداية الليل، وضع ذبابة السيف أو الرمح على صدره واتكأ عليه فمات منتحرا، فجاء إلى النبي ﷺ هذا الرجل قال: يا رسول الله أشهد أنك رسول الله.

قال: "فيم" أنا أعلم أنك تشهد ولكن لماذا تقولها الآن؟

قال: فلان الذي قلت أنه في النار فعل كذا وكذا.

ماذا قال له النبي ﷺ؟ قال: **"إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس"** أنت لا تعرف النوايا، الله يعلم السر وأخفى، الله لا يظلم أحدا، قال: **"إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار"** الأعمال بالخواتيم، أحسن عملك، هنالك أبو زرعة الرازي، نختم بهذه القصة، كان في النزع الأخير، في السَّوق، وقد ذكر هذه القصة غير واحد، وذكر هذه القصة كاتبه أبو جعفر الوراق، ذكرها عنه ابن أبي حاتم الرازي، والقصة صحيحة إن شاء الله تعالى.

قال: كنا -شهران أو منطقة- عند أبي زرعة، وكان في السوق أي: في النزع الأخير يحتضر.

قال: وكان عنده ابن وارا وأبو بكر الرازي والمنذر بن شاذان وغيرهم، فقالوا: تعالوا نذكر حديث التلقين أي: حديث **"من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"** هم خجلوا، وهذا أبو زرعة له قدره ووزنه، خجلوا أو استحيوا من أبي زرعة أن يذكروه أمامه لمكانته عندهم، فقالوا: تعالوا نتذاكر الحديث بالسند، فنذكر الحديث فيسمع، يريدون أن يقول هذه الكلمة.

فقال أبو حاتم الرازي: ساق الإسناد عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عَريب، ولم يجاوز، نسي السند.

قال غيره ولعله المنذر بن شاذان: حدثني بُندار، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي، ولم يجاوز.

والباقون قد سكتوا، قال أبو زرعة، نطق الذي يُحتضر، قال: حدثني أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مُعَاذٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **"مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ"**.

ثم مات رحمة الله عليه.

نتوقف عن هذا القدر، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وبارك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.